بَرَكة العِنَب في الكنائس الشرقيّة

ملخّص يتصرّف عن مقالة للاب يوحنّا باريزو البندكتيّ

من جملة ما اوصى بهِ الربّ في العهد القديم شعبهُ اسرائيل (خر ٢٢: ٢٩، ٢٣: ١٩؛ عد ١٨: ١٢) ألّا يتأخّر عن تأدية بواكير غلّاتهِ وثمارهِ. فجرت الكنيسة على هذه العادة في بدء النصرانيّة كما يشهد على ذلك كتاب الرسوم الرسولية (٧: ٢٩) وكتاب تعليم الرسل (١٣: ٣ و ٤). امّا محصول هذه التقادم فكان يُجعل للذين خصّهم الربّ بنعمة النبوءة او يُوزّع على الفقراء. ثمّ قرّرت الكنيسة ان تُعطى بواكير الحنطة والزيت والخمر والاثمار والصوف لكهنة الكنيسة (الرسوم الرسولية ٢: ٣٤) ليستعينوا بها في معاشهم

وكانت العادة ان يأتي المؤمنون بهذه البواكير فيضعها الاسقف بازاء المذبح ويتلو عليها صلوات معلومة. وفي كتاب رسوم الرسل (٨: ٤٠) اقدمُ صلاةٍ وضعتها الكنيسة لمثل هذه الرُّتبة الدينيّة وفيها يطلب الاسقف من الله ان يحلّ سابغ بركاتهِ على ثمار الارض وغلّاتها التي جاد بها على البشر بمنّهِ ورحمتهِ

ثمّ اقتصرت الكنيسة على بركة السنابل الجديدة وبواكير العنب لما بينهما وبين القربان من العلاقة ثمّ اضافت الى ذلك بركة الزّيت المتّخذ لانارة الكنائس وبركة البخور الموقد في الرُّتب الدينية. وكان المؤمنون يأتون باكداس السنابل ومقاطف العنب ليُبارك عليها في اثناء الذبيحة المقدّسة بركةً خاصّة وعيّنت الكنيسة لذلك صلاةً معلومةً تُتلى باحتفال وأُبّهة. امّا بقيّة الاثمار فكانت تُحمل الى دار الاسقف او الكاهن فيبارك عليها بركةً عموميّة

وهذه العوائد عمّت كنائس الغرب والشرق معًا مع بعض الاختلافات في امورٍ طفيفة منها انّ المؤمنين في القسطنطينيّة كانوا يحفظون التقادم بعد بركتها ويأكلونها اكلهم للزاد المقدّس. واوّل من اثبت هذه التقاريرَ البابا اوطيخيان (٢ في القرن

---

١) راجع Jacquier : *La Doctrine des Douze Apôtres*

٢) راجع Duchesne : *Liber Pontificalis*, I, 159

الثالث (٢٧٣—٢٨٣) وعيّن لبركة اثمار الكرم اليوم السادس من آب (١ وادرج في القداس الصلاة الآتية ليتلوها الاسقف على العنب :

بارك اللهم هذه بواكير العنب التي بلّغتها بفضلك الى تمام النضج بما آتيتها من ندى السماء وغزارة الامطار وصفاء الجوّ ثمّ انعمت علينا بها لنتخذها لمائدتنا شاكرين. تطلب ذلك باسم ربّنا يسوع المسيح الذي به لم تزل تجدينا هذه الحسنات(٢

ثمّ اخذت الكنائس الخاصّة هذه البركة ونظمتها ايضاً في سلك رُتبها الليتورجية بعد نقلها من اللغة اليونانيّة التي بها كُتبت (٣ فتجد لذلك في الليتورجيّات القديمة كالسريانية والكلدانيّة واللاتينيّة والارمنيّة الصلاة نفسها مع بعض عبارات أُضيفت اليها . وهاك مثالاً عن هذه الترجمات وهي الصلاة التي كانت تُتلى سابقاً بالسريانية كما وجدناها في بعض الكتب المخطوطة في مكتبة باريس الكبرى (٤ :

صلاة على ثمار العنب الجديد

بارك ايها الرب الاله هذا الثمر الحديث غرس الجنة الذي غا يحسن ندوّة الهواء ومطر السماء وقرار فصول السنة حتى بلغ الى تمام نضجه واضحى لنا مأكلاً . فليكن لنا نحن الذين اتخذنا منهُ هذه التقدمة غفرانًا للخطايا بواسطة المجد الطاهر المقدّس جد مسيحك. ولكن بركةً وتكثيرًا وسعادةً لمن يقتربون فيأكلون منهُ ليحوّل قلوبنا جميعًا واجسادنا ونفوسنا صحّةً بنعمة ابنك يسوع المسيح ربّنا الذي يحقُّ لك منهُ التسبحة والمجد بصحبة روحك المقدّس بكل النعم وسبب الحياة الان وكل اوان الى دهر الداهرين امين

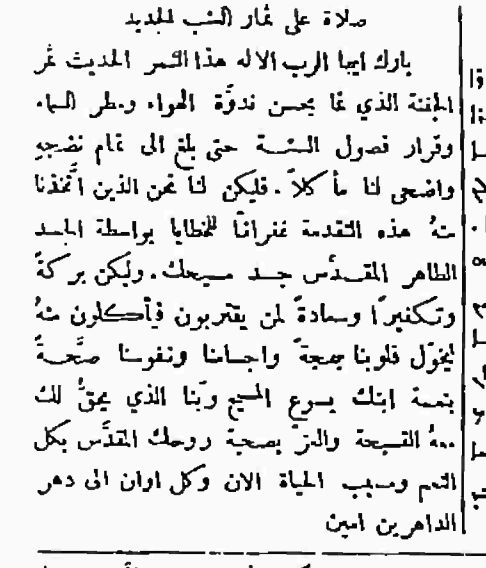

١) وكانت الكنيسة تعيّد في هذا النهار عيد الشهيد البابا بيكتس (†٢٠٨) ثمّ انتشر في الكنيسة عيد تجلي الرب فبقيت رتبة بركة العنب في هذا النهار

٢) وقد جرت العادة في كثير من كنائس ايطالية ان تتلى هذه الصلاة نفسها لبركة الباقلاء (الفول) بابدال لفظة « العنب » بالباقلاء . وقد اختصوا الباقلاء بالبركة لانها من مآكل الايطاليين الشائعة

٣) لا يخفى ان الكنيسة الرومانية في الثلاثة القرون الاولى كانت تستعمل اللغة اليونانيّة في طقوسها

٤) Fond Syriaque N° 100, *fol.* 216', 217'

وفي السريانية صلاة أخرى تراها مدوّنة في ليتورجيّة الروم الملكيين في الجمع الذي اخذنا عنهُ الصلاة السابقة (*fol.* 224) :

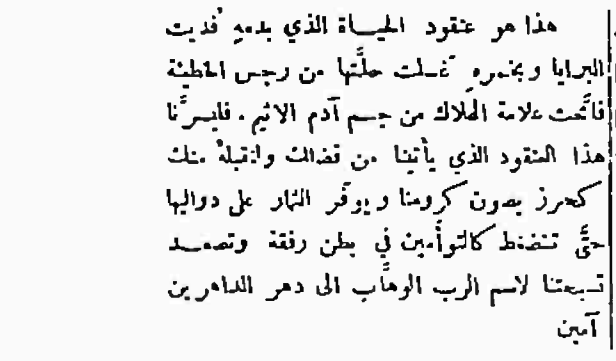

هذا هو عنقود الحياة الذي بدمهِ فُديت البرايا وبخمرهِ غُسلت حلتها من رجس الخطية فانمحت علامة الهلاك من جسم آدم الاثيم . فلبسرّنا هذا العنقود الذي يأتينا من نضالك واتقبلهُ منك كحرز يصون كرومنا ويوفّر الثمار على دواليها حتّى تنضغط كالتوأمين في بطن رفقة وتصعد تسبحتنا لاسم الرب الوهّاب الى دهر الداهرين آمين

وكانت عادة بعض كنائس الغرب بعد هذه البركة ان يُعصر في الكأس شيء من عصير العنب فيُقدَّس مع الخمر الاعتيادي

امّا اليوم فقد بطلت اكثر هذه الصلوات القديمة وفي الكنيسة اليونانيّة والسريانيّة والكلدانيّة يُتلى بدلًا منها صلوات عموميّة تشمل كلّ الاثمار الجديدة وتُقال على البادر وقطف الكروم كما ترى في الدعاء الآتي حسب طقس الكنيسة السريانيّة الكاثوليكيّة :

ايها الرب الاله يا من يُقيت كلّ ذي جسد ويكفيهِ نتوسّل الى مراحمك الغزيرة بان تبسط يمينك القديرة وتبارك هذه الاثمار (او البادر) وتضاعف غلّات عبدك هذا وتوهب خزائنهُ من ثمرة الحنطة والخمر والزيت ومن جميع الخيرات وتهبهُ ازمنة صالحة وتحفظهُ من كل شرّ وضرر ولك تُصعد المجد والشكر الان وكلّ اوان

وفي الاخولوجيون الكبير للروم الكاثوليك (ص ٢١١) صلاة كهذه . وتجد مثل ذلك في الليتورجيّة اللاتينيّة الّا ان هذه الصلوات لم تعد تُتلى في اثناء القدّاس الالهي . واعلم انهُ لم تزل رتبة بركة العنب جاريةً بروتق واحتفال في الكنيسة الارمنيّة لابيبا الغريغوريّة وذلك في ١٥ آب يوم عيد السيّدة فيُبارك العنب بالكنيسة ويخرج الشعب الى البساتين لزيارة الكروم ولترويح النفس

ومن كلّ ما تقدّم يظهر جليًّا ان كثيرًا من الطقوس الجارية حتى اليوم في الكنيسة كانت في القرون الاولى من النصرانيّة شائعة في كنائس الغرب والشرق معًا ولم يكن فقط وفاق تامّ بينهما في ما يختص بعقائد الايمان بل كان الشرقيون يتّخذون

من الغربيين اعيادهم وطقوسهم ورتبهم الدينيّة كما انّ الغربيين لم يأنفوا ان يقتنوا بكنائس الشرق في امور كثيرة من شأنها انعاش روح التقوى والعبادة في القارب. ولم يشذّ عن هذه القاعدة سوى اهل الاصلاح الموهوم الذي ثلّ دعائم الايمان ونقض التقاليد القديمة وابطل الطقوس والرُّتب البهيّة التي كانت حلية الكنيستين بعد ان اثبتها الآباء وقرّرتها المجامع فعمّت كلّ الامم. فهذا هو الاصلاح او بالحريّ الزوان الذي اشار اليه الربّ بقوله انّ رجل السوء هو الذي زرعهُ في حقله. فحذار ايها الشرقيّون من هذا الزوان الذي يخنق في قلوبكم بذرًا حسنًا زرعهُ الزارع الالهيّ وما بقيتهُ الّا ان يلقى تربةً صالحة فيزكو ويأتي بعضهُ بثلاثين وبعضهُ بستّين وبعضهُ بمئة ضعف.

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ووقفتُ على منشور للوالد باسترجاعهِ لاقطاعهِ عن يحيى بن ابراهيم وبني ابن العفيف تاريخهُ في الخامس جمادى الآخرة سنة اربع وثمانين وسبعمائة (١٣٧٢ م) وكان الوالد قد تعرّف بجركس الخليليّ (١ عينهِ كبير امراء مصر وكان خصيًّا متميّزًا عند السلطان برقوق يستعين بهِ على اغراض (١٥٢) الدولة. وكان جركس يحضر القمح من مصر في البحر الى بيروت. ثمّ يحضر الى بيروت الشيخ شمس الدين محمّد بن الجوزيّ فيما يتعلّق بالقمح المذكور. وكان ابن الجوزيّ من علماء زمانهِ وكان مقرّبًا عند جركس الخليليّ. فلمّا اختلفت الحال على المذكور توجّه الى بني سلجوق وحظي عند السلطان ابن عثمان وكان السلطان يعمل برأيهِ. وكان ابن الجوزيّ متمكّنًا في المملكة السلجوقيّة متعلّقًا باهلها ثمّ توجّه الى شاه رخ بن تمرلنك وحظي عندهُ وتوفي في بلادهِ. ولمّا حضر ابن الجوزيّ الى بيروت مدح الوالد بهذين البيتين:

شبهنا بهِ الفضل بن يحيى بن خالد فلام ابن يحيى في المكارم خالدا
ولمّا دخلنا ثغر بيروت لم نجد بهِ غير يحيى للمكارم رائدا

وقال يمدحهُ ايضًا:

١) كان من اكابر الامراء في اواخر دولة الاتراك المصرية واوائل دولة الجراكسة قتلهُ يلبغا الناصري سنة ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م)